

خطب منـ ية للشيخ عبد القادر بن مولود

جمعها: أ. جمال مرسلي

الجـزء الأوّل



31. استسلامك لخاصّة نفسك لا يُنجيك

17 ربيع الأوّل 1380هـ الموافق 9 سبتمبر 1960م

الحمد لله الّذي يتصرّف في خلقه كما يشاء، ويفعل في ملكه كما يريد، {لَا يُسْأَلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْأَلُونَ} الأنبياء: 23، وأشهد أن لا إله إلّا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد وهو على كلّ شيء قدير، وأشهد أنّ محمّدًا عبده ورسوله، الّذي ميّزه الله على سائر خلقه، وكرّمه بصفات فاز بها على خصمه، حتّى كان له النّصر والفوز المطلق، صلوات الله وسلامه عليه، وعلى آله وأصحابه الّذين حملوا معه رسالة هذا الدّين، وكانوا دعاة خير وأمن وسلام، رضي الله عنهم أجمعين.

أمّا بعد: فإنّ القابض اليوم على دينه وعلى مبدئه كالقابض على جمر الغضا(1) وشوك القتاد(2)، والسّائر في ميدانه إلى إرضاء ربّه، والقائم بتنفيذ أوامره، سواء أكان ذلك في خدمة الدّين أو في خدمة المجتمع نجد ذلك الشّخص أمام أمانة عظيمة، لا ينهض بها إلّا أولو العزم الذين اختصّهم الله بالصّبر والثّبات من بين خلقه، واصطفاهم على سائر عباده.

ولكن الكثير منّا يظنّ أنّه إذا استسلم لخاصّة نفسه واعتكف للقيام بشؤونه التي لا تهمّه إلّا وحده فكأنّه قد نجا من كلّ مكاره الحياة وويلاتها، وكأنّه -أيضًا- قد أمن من عذاب الله في الدّنيا أو في الآخرة.

وهذا النّظر البسيط هو الظّلم للنّفس، وهو الهلاك بعينه، والله -جلّ جلاله- يقول في ذلك: {أَفَأَمِنُوا مَكْرَ اللهِ فَلَا يَأْمَنُ مَكْرَ اللهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْخَاسِرُونَ} الأعراف: 99.

والكثير منّا يطلب الأمن والرّخاء والهناء لنفسه ولعشيرته، ولكن موقفه واتجاهه وسوء أعماله تجلب له الخوف، وتدخل على قلبه الرّعب والفزع، وتزيد في اضطراب نفسه، وحيرته واندهاشه، والسّبب في ذلك هو عدم العمل بأوامر القرآن الكريم ووصاياه القيّمة، وعدم الانتباه إلى مقاصده التي يرشد إليها البشر في دينهم، وفي سائر شؤونهم.

والأمّة التي كتب لـها الأمن والاطمئنان، والـهداية والتّوفيق فـي حياتها هي التي استرشدت بهـذه الآيـة الكريمة التي يقول الله فيها: {الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَـانَهُمْ بِظُلْمٍ أُولَئِـكَ لَــهُمُ الْأَمْـنُ وَهُـمْ مُهْتَـدُونَ} الأنعام: 82.

———————

(1) الغَضا: شَجَرٌ مِنَ الأَثْلِ، خَشَبُهُ صَلْبٌ جِدّاً، وَجَمْرُهُ يَبْقَى زَمَناً طَوِيلاً لاَ يَنْطَفِئُ.

(2) القَتادُ: نبات صلب له شوك كالإبَر.